

## مشكلة الرأي العام

في الدولة الديمقراطية

٣-

بقلم الاستاذ عبد الجليل الظاهر

### الرأي العام كموقف :

يميل علماء النفس ، وعلماء الاجتماع لوصف الرأي العام بكلمة موقف . ويعرف الاستاذ ميكافير الموقف بالمصلحة ؛ ويقول هو حالة وعي نفسي والمصلحة هي موضع ذلك الوعي ٢٠ . ويقول الاستاذ فارس بان شخصية الفرد ما هي إلا محاضرة ناجحة لتنظيم المواقف (٢١) اما المواقف التي تكتب لها التفوق والسيادة فتتكون من المواقف المتشابهة أي حدوث رد فعل عند الناس بصورة متشابهة ازاء موضوع من المواضيع . وتتأثر هذه المواقف بعاملين مهمين هما [٤] بحاء [١] الترية .

اما المواقف التي تنشأ الى حد ما من وضعيات اجتماعية مشتركة، فتوقف الى حد ما على التلقين الذي تفرضه سيطرة المجموعة على أعضائها ولهذا فهي تستند على الاداب الاجتماعية وتؤيد بواسطتها وبذلك يصيح الرأي العام عبارة عن موقف من المواقف يتفوق بمختلف الوسائل كالصحف والاذاعة والاحزاب والمنظمات الأخرى . وعلى اثر ذلك نشأ علم نفس جديد يدعى بعلم نفس المواقف .

علم النفس الجماهيري والرأي العام :

هناك نظريتان متعارضتان :

الأولى تؤكد على ان حكم الانسان في الجماعة أكثر صواباً من حكمه لوحده - وهي النظرية التي راجع عنها أرسطو ونادت بها وجهة النظر الدينية ما اجتمعت أممي على ضلال وهي إن أردنا وضعها بكلمة مختصرة فانها تعني الحكم الديمقراطي المبني على مشاركة الأكثرية وعلى المشورة في مختلف اوجه الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

(٢٠) ميكافير ، المجتمع . (ترجمة الدكتور عبد الحميد عباس)

(٢١) فارس ؛ طبيعة الطبيعة البشرية . (بالانكليزية) .

١٢

الثانية القائلة بان الانسان في الجماهير الرطاع - الجماعة تخضع لكل الدوافع الأساسية (الغرائز) وانه يعتمد كل الاعتماد على حكم العقل ونفاذ البصيرة ، ولهذا يكون حكم الجماعة باطلاً غير متزن ٢٢ وهذه النظرية تقدم أم الانتقادات العملية لفكرة الرأي العام فتقول: إن حياة الكائنات البشرية خاضعة في جميع اعصرها ومراحلها الثقافية في الدرجة الأولى لسيطرة مجموعة كبيرة من الطرق الشعبية المتحدرة من اقدم الايام التي وجد فيها الجنس البشري ، وهذه الطرق الشعبية تشبه في طبيعتها طرق الحيوانات الأخرى وأنها خاضعة لسلطة الأداب التي لا يمكن مناقشتها لانها محمية بأقل الناس تفكيراً ولانها ليست وايده الاستنباط الذكي والتصميم البعيد النظر (٢٣) ولهذا فالفرد ينجرف في التيار الجارف الساحب دون ان يذهبن على فرديته أو أن يعبر عما يجول في خاطره - فرأي الجماهير معناه الخضوع لسلطان العواطف الهائجة الثائرة ؛ دون الاعتبار بحكام العقل . وهكذا يصدق القول القائل بان الديمقراطية المستندة الى الرأي العام الجماهيري ما هي الا حكم الناس المتوسطين الاعتياديين الذين لا يمتازون بالذكاء والذين هم عبيد لشهواتهم وعواطفهم ، والذين أفنى معرفتهم خيق جداً ؛ وهنا لابد الانسان أن يتساءل ما هي الفضيلة السياسية للسيادة والتفوق العددي ؟ وما هي فضيلة زيادة الكم ؟

وما هو المعيار الذي يجعلنا نعتقد ان رأي [٥٥] من الشعب يمكن ان يعد أصلح وأعقل من ال ٤٥ . / الباقية ؟ أليس حكم الأكثرية معناه حكم القوة الفساجية ؟ ثم ما هو البرهان او السبب المعقول الذي يجعل لكل فرد قوة متساوية في القانون ؟

وهكذا تعتبر فكرة الرأي العام في الدولة الديمقراطية أمراً يحقق مسرات وافراح المتوسطين الاعتياديين فقط ولا ينجز خير الاقلية او الصفوة المختارة (٢٤) وتحاول الأكثرية المتفوقة عدداً ان تجلب الافراد ذوي القابليات والامكانيات ممتازة الى حظيرتها فتجعلها في مستواها . والرجل المتوسط كائن مقلد يحترم العادات ويخضع للتقاليد ؛ وغالى اعداء فكرة الرأي العام بقولهم ان أكثر الفترات تمادياً في الإصلاح القانوني كانت في وقت استمرت فيه

(٢٢) ولسن ؛ عناصر العلوم السياسية الحديثة (بالانكليزية)

(٢٣) ميكافير ، الدولة الحديثة (بالانكليزية)

(٢٤) كوكر ؛ الفكر السياسي الحديث [بالانكليزية]

٢٤٦

السلطة السياسية في ايدي الابطرة الرومان والحكومات الملكية في فرنسا ، ويقول « توماس بين » : بيان لي حقاً ؛ إنه لو كانت هنالك تمثيل واسع منذ أربعة قرون ؛ وكان عدد الناخبين كبيراً لما تم أي إصلاح ديني ؛ أو أي تغير في السلالات الحاكمة ، وما حدثت إنتقالات في مكائن النسيج والحياكة ، ومما كانت هنالك ماكنة بخارية (٢٥) وأيد كوستاف لوبون الفكرة نفسها وقال : « لو كانت الديمقراطية هي السائدة والمتفوقة منذ قرنين لما حدثت الاختراعات المتعددة مثل المكائن البخارية والقاطرات ، ولكن كان من حسن حظ المدينة إن ازدهرت حين لم تكن للجواهر قوة أو تأثير في مجرى الاكتشافات العظيمة في العلم والصناعة . » ويقول : « أما الشخصية الخاصة - نفي بها قدرة الشخص على مخالفة من يعايشهم واطراح نير الرأي العام والعرف - فوجهة من أندر المواهب ؛ وتجدها ظاهرة أكثر منها حقيقية . فالفكر الذي يتقدم عصره كثيراً بما يدلي به - لا يصفي إليه أحد في حال حياته ؛ وليس المصير الطبيعي والمبدع إلا ان يذهب شهيداً تجديده وابتداعه . (٢٦) »

وأشاع بعض علماء الاجتماع الفكرة القائلة إن جماعات الناس كثيراً ما يعملون في اساليب تختلف كل الاختلاف عن الأساليب والطرق المألوفة التي يتوسل ويعمل بها الافراد وقارنوا ذلك بالعناصر الكيماوية التي تكون باتحادها نوعاً جديداً من العناصر . فالعمل الجمعي يقضى على فكرة الفرد ، وتتغلب العاطفة فيه على إيزان العقل ويتحكم الهياج ويسود التهرج - وهكذا يصبح الرأي العام في الانظمة الديمقراطية خاطئاً لأنه يعتمد على الروح والتفكير الجماهيري ؛ وبالعكس حيث تفوق الارستقراطية وتتحكم الاقلية الممتازة فان أقوى العقول وأكثرها إزانا هي التي تقدم الحماية ضد التأثيرات العاطفية للغوغاء .

(٢٥) توماس بين ، الحكومة الشعبية ، ص (٦٥-٦٦ و٦٧-٦٨)  
[٩١] بالانكليزية .

(٢٦) كوكر ، الفكره السياسي الحديث [ بالانكليزية ]  
وراجع كتاب مقدمة الحضارات الاولى لكوستاف لوبون ،

ص [ ١٢٠ ]  
٢٤٧

## نظريه الصفوة المختارة وفكرة الرأي العام :

والآن نريد ان نبين بايجاز آراء « فليفريد باريتو » الايطالي الذي انتقد فكرة الرأي العام تقدماً لا ذعاً ؛ وأكد انه في كل انواع الحكم سواء كان منها الملكي ؛ او الارستقراطي او الديمقراطي يتم عن طريق استعمال القوة من قبل بعض الطبقات من جهة : وأخذ موافقة الشعب نسبياً من جهة أخرى ، ونسمى هذا النظام الصوري الذي يهبر فيه الشعب عن ارأئه بنسبة محدودة « الديمقراطية » وما الديمقراطية في انكلترا وفرنسا وامريكا الاحكاماً بلوطوقراطياً ( حكم الاثرياء ) وقد وضع « باريتو » نظرية معروفة باسم « دوة الصفوة المختارة » التي تقول بوجود صفوة يتازعون بيني\* الوسائل كالأحزاب والصحافة والاذاعة للوصول الى السلطة - فلا وجود لما يدعى « الرأي العام » ، وأيد الاستاذ « باريتو » علم إسباني يسمى « موسكا » (٢٧) والاستاذ « لازوري » الذي يعرف السياسة بقوله المشهور : « علم السياسة يعني دراسة السلطة واحجاب النفوذ والتأثير ، ويرد البروفسور « روبرت ميشيل » على فكرة الرأي العام بقوله ان الاحزاب هي المسيطرة على ما يسمى الرأي العام في البلاد الديمقراطية ، ويسيطر على الاحزاب الزعيم الذي تربى وفق أمثاليب خاصة كانت تظهر عليه [ الصفات النابولونية ] التي تجعل من صاحبها رجلاً فوق الجماهير ؛ ينظر اليه الناس بكل تبحر واحترام ؛ ويصبح رأيه هو المتفوق السائد في الشؤون العامة ، أما الجماهير فهي عاطلة ليس لها أي أثر وينتهي الى القول القائل « إن الديمقراطية لا تستطيع الانقلابات والانطلاق في قانون الحاجة التاريخية لحكم الصفوة المختارة والاقلية الحكيمة العاقلة . وهكذا يصبح الرأي العام مجرد إدعاء فارغ وإن فكرة الشعب نفسه بنفسه ماهي الامن خلق الخيال والتصور وإن الجماهير غير المنظمة تسيطر عليها اقلية منظمة من الطفاة المسكرين او من رجال الاعمال الكبار او المصلحين الاجتماعيين الماهرين في تكييف افكار وعواطف الجماهير لتكون مصالح محدودة أو عقائد لبعض الفئات الصغيرة . [٢٨] ولكن الاستاذ ( مريام ) يرد على هؤلاء بقوله ان الديمقراطية

(٢٧) موسكا ، الطبقة الحاكمة [ بالانكليزية ]  
(٢٨) كوكر ؛ عناصر العلوم السياسية الحديثه [ بالانكليزية ]

## من وهي القاموس

( هذه فصول أدبية نستوحىها من معاجم اللغة  
وكتب الأدب وقد سبق فنشرنا اثنين واربعين فصلاً  
منها في جريدة الحوادث الغراء بعنوان « قاموس  
الحوادث » .  
صادق باللائكة

### ٤٣ ( ا . س . ل )

الاسلة نبات دقيق الأغصان تتخذ منه الغرابيل بالعراق  
الواحدة منه اسلة وهو من النبات الذي لا ورق له . وإنما قيل  
للزمام الأسل على التشبيه واسلت السلاح حدته وجعلته كالاسل  
قال مزاحم العثيلي :  
يباري سديساها اذا ما تلبجت شبا مثل ابريم السلاح المؤسل  
ومنه : اسلات الستم امض من اسنة اسلمهم والى هذا أشار  
الشاعر بقوله : ( ١ )

( ١ ) الاحمل لابن الساعاتي والتخميس للشاعر المنسي السيد  
حسين مير رشيد الرضوي الجائري المتوفى سنة ١١٦٠ هـ  
[ صاحب البيان ]

لا تعني حكم كل الناس ولكنها مستندة الى رضاء الشعب ، فالصفوة  
تحكم بموافقة المحكومين ويقول ان الذخبة ضرورية للقيادة ولكنها  
تسير برضاء الشعب ولمصلحة الشعب او كما قال ابراهام لنكولن  
« حكومة الشعب من الشعب ولاجل الشعب » ويرد الاستاذ  
( كنتك ) بقوله ان الرأي العام ليس عملاً رطاعياً او عاطفة عامة ؛  
وليس هو انطباعاً شعبياً او حكماً عاماً ؛ وإنما هو عبارة عن حكم  
اجتماعي فصل اليه بعد مناقشة عامة واعية تستند الى حكم العقل حول  
معضلة عامة - وبذا يكون الرأي العام أمراً طارئاً وليس دائماً .  
وإن عمل الرعاع مكروه لانه يحمل معايير ومقاييس قديمة ، بينما  
الرأي العام يخلق معايير جديدة . ولكن الأمر في الدول  
الديكتاتورية يختلف كل الاختلاف ، لان الرأي العام يثار ويشجع  
بدعاية الحاكمين لكسب طاعته وخضوعه . ( ٢٩ )

عبد الجليل الطاهر

( ٢٩ ) مريام ، الديمقراطية الحديثة والحكم الاستبدادي  
الحديث [ بالانكليزية ]

٢٤٨

على صحن خديك آس اطل فقلت قد اخضر روض الأمل  
ومد ملت اقطافه بالقبيل حميت الأصيل بحد الأمل  
اجل ما لحاظك إلا اجل

ومنه اسل خده اساله فهو اسيل أي طويل مستمر وفي  
حديث علي [ ع ] لا قود إلا بالاسل يريد كارق من الحديد وحد  
من سيف وسكين وسنان . وفي حديث عمر لبذل لكم الأمل  
والاصيل كما قلنا ذو الخد المستطيل وفي صفته من كان اسيل الخد  
وشرط الاسالة في الخد ان لا يكون مرتفع الوجنة . وقد أكثر  
الشعراء من ذكر هذه الصفة في الخد والجيد قال السبط بن  
التماويذي :

قالت وادمعها تسيل اس على الخد الاصيل  
يا بين . كم اجلبت يوم نوى الامجبة من قبيل  
وقال ابن الخياط :

وكائن بالعواصم من معنى بشعري لا يربح الى ذهول  
اقت بارضهم فخلت منها محل الخلال في الخد الاصيل  
وقال الارجاني :

حكى بدء العذار بمارضيه مدب النمل في السيف الصقيل  
يخر الناظرون له سجوداً اذا اهدى عن الخد الاصيل  
ويقول عمر بن ابي ربيعة :

ذاك عني من آل هند وهند قرته فؤاده المتبول  
لذبت لنا فابت اثينا حالكا لونه . وجيداً اسيل  
وشقياً كالأخوان عذابا لم يقادر به الزمان فلولا

ومنه قيل لمستدق اللسان والذراع الاسلة وعلى هذا ورد  
في كلام الامام علي [ ع ] قوله لم تجف اطول المناجاة اسلات  
الستهم يريد جمع اسلة وهي طرف اللسان وكما يقال ذلك لمستدق  
اللسان يقال لمستدق الذراع فقد قال اعرابي لآخر كيف كانت  
مطرتكم أسلت ام عظمت . يريد ابلغت اسلة الذراع ام عظمتها .  
فقال ما بلغت الضرائر . وهي جمع ضرة الابهام . ويقولون كف  
اسيلة الاصابع وكل سبط مستمر اسيل وتستحب في خد  
الفرس الاسالة وهي دليل الكرم عندهم فيقال تني اسالة خده عن  
اصالة جسده وربما توسعوا في الاسل فاطاقوه على شوك النخل  
وعيدان الرمان والعيدان التي تعمل منها الحصر بدل وكل عود